

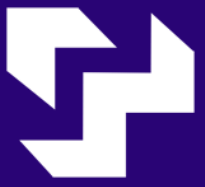
دراسات محكمة

التحويلات المجالية بالمدن المغربية
العتيقة واستراتيجيات التدبير:
حالة مدينة الجديدة

الدحمانى فاطمة الزهراء ولعديدي محسن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهرالمهراز
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

02 فبراير 2022



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

مقدمة:

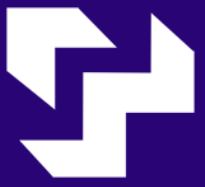
تشكل المدن العتيقة في المغرب تراثا ثميناً لا يواهى، وتمثل أحد ركائز الهوية الثقافية والرمزية للخصوصية المغربية، وقد حظي عدد منها بتصنيف اليونسكو تراثاً إنسانياً عالمياً، ويعتمد عليها المغرب بشكل أساسي لإنعاش قطاع السياحة خاصة الثقافية، كما تمثل هذه المدن رصيذاً نفيساً من الهندسة المعمارية لفن البناء والتشييد والتنظيم. ففي تنوع أشكالها الهندسية ومواد بنائها يكمن غناها الجمالي، الذي يعكس عبقريتين: كونها متلائمة مع وظيفتها وبيئتها المادية والمناخية، كما تعتبر مصدراً للإلهام ومرتكزاً أساسياً للتنمية المستدامة.

والمدينة العتيقة للجديدة لا تخرج إجمالاً عن هذا السياق، وإن كانت خصوصيتها أنها قلعة برتغالية قبل أن تصبح مدينة مغربية بطابع تقليدي تنتمي لخريطة المدن المغربية التقليدية الناشئة في غضون القرن الثامن عشر والتاسع عشر. وهنا تكمن خصوصيات هامة للجديدة من حيث انتمائها لهذا الجيل الجديد من المدن المغربية العتيقة ولكونها عرفت فيما مضى نوعاً من التجانس والتوازن في بنيتها الحضرية بمختلف أنواعها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وحتى الدينية والروحية. غير أن هذه المكانة المتميزة التي اضطلعت بها ولقرون، سرعان ما ستعرض للتدهور والتراجع جراء مجموعة من التحولات المجالية العارمة التي لحقت بالمدينة القديمة للجديدة نتيجة تضافر عدة عوامل ساهمت في تلك التحولات التي كانت لها انعكاسات سلبية وخيمة على عدة مستويات ترتب عنها تدهور المدينة العتيقة بل والإخلال بتوازنها الوظيفي، وبجودة إطارها المبني، وكذلك بنسق الحياة العامة بها.

وباعتبار أن التراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي، أصبح يشكل في الوقت الراهن إحدى الآليات والركائز الأساسية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، "فإن مسألة رد الاعتبار والإنقاذ أصبحت مطلباً استعجالياً أكثر من أي وقت مضى، ليس لكونه إطاراً مادياً، ولكن باعتباره هوية مجتمع ونتاج قيم وحضارة وثقافة الأسلاف"¹.

وتبعاً لذلك سنسلط الضوء في هذا المقال على مقومات، مؤهلات وواقع التراث التاريخي بالمدينة العتيقة للجديدة، معتمدين مقارنة تروم البحث عن التدخلات والاستراتيجيات الكفيلة بتثمين وتأهيل هذا المنتوج الثقافي والحضاري وإدماجه في مسلسل التنمية الترابية والحضرية المستدامة.

¹ - الخزان بوشتي، حميق محمد (2007): المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ، مجلة دفاتر جغرافية، عدد مزدوج 3-4 (التراث والمجال والتنمية)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز، فاس، مطبعة أنفو برانت، ص 27.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

1- المفاهيم الأساسية المهيكلية للموضوع

يطرح هذا المقال جملة من المفاهيم الأساسية، يتطلب الأمر تعريفها وتفسيرها قبل الخوض فيها:

1-1. التحول

إن مفهوم التحول مفهوم نسبي ومعقد، مفهوم عملي أكثر مما هو نظري، وعندما نتحدث عن التحولات بصفة عامة فمن الضروري جدا أن نعرف بالنسبة لأيّة حالة تم هذا التحول، وكذلك ضبط حركة التحول. هل هو تحول في الاتجاه السلبي أم تحول في الاتجاه الإيجابي؟²

إن التحول عملية دائمة تحكمها عوامل يتم فيها ربط المجال بالزمن كأحد العناصر الرئيسية في الديناميات المتوالية للظواهر، إذ هو الذي يسمح بالتمييز بين نقط انعطاف مراحل التحول، التي تطول أو تقصر حسب سرعة ومدة واستمرارية الميكانيزمات المحركة. وكل مرحلة تطبع نظيرتها اللاحقة ببصماتها، لكن لا يوحي ذلك بأن التحول نتيجة لقوى تاريخية وماكرو اجتماعية فحسب، بل كذلك لتأثير متبادل بين مختلف الاستراتيجيات المتعددة الفعاليات.³

1-2. المجال

يعتبر من أكثر المفاهيم تعقيدا، لما يحمله من غنى في الدلالة والإيحاء، ولما يتصف به من مفارقة، ولازال يكتنفه الغموض حتى في وقتنا الراهن. فهو مفهوم يجيد لعبة الوجه والقناع والإخفاء بالإبراز، يخفي أحيانا ما ينبغي أن يظهره ويبرز أحيانا أخرى ما هو من المفروض أن يختفي... يبدي الوضوح والجلء والبساطة بل والبداهة الحدسية، ويضمّر اللبس والغموض... إذن فماذا نقصد بالمجال في الجغرافيا؟⁴

وفي معجم الجغرافيا يعد المجال: "التراث ومكاسب التهيئات السابقة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية، ومسرح رهانات قوة دائمة..."⁵

1-3. الإستراتيجية

الإستراتيجية هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن، وبأقل جهد مبذول وكذا الرؤى والتطلعات المستقبلية التي تستحضرها القيادات لاستشراف المستقبل.⁶

2- غنى وخصوصية التراث الحضري بالمدينة العتيقة للجديدة

تمثل المدينة العتيقة للجديدة تراثا حضاريا وإنسانيا بامتياز، وذلك بالنظر لمخزونها الثقافي الذي تراكم طيلة قرون عديدة منذ تأسيس المدينة، فأغلب المعالم والمآثر التاريخية التي تزخر بها المدينة العتيقة للجديدة هي معالم

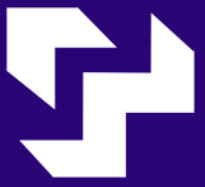
² - الدبياجي إدريس، (2012)، "التحولات السكنية وبرنامج إعادة ردا الاعتبار للمدينة العتيقة لأزمور"، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شعيب الدكالي - الجديدة، ص 7-8

³ - هلال عبد المجيد، (2010)، "دينامية البيئة والمجتمع بساحل الجديدة الإمارات والإكراهات"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ص 18-19.

⁴ - كرم يوسف، (1970)، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ص 120

⁵ - Dictionnaire de la géographie, PUF, 1970, pp68-169.

⁶ - الزعبي محمد موسى، (2010)، دور القيادات الاستراتيجية في تطوير المنظمات الأمنية والمدنية في الجمهورية العربية السورية أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية نايف العربية للعلوم الأمنية، سوريا، ص 10.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

برتغالية، مازالت تؤثت فضاءها وشاهدة على فترة تاريخية فرض فيها الإيبيريون وجودهم على المدينة، وهو حضور لم يكن ليتمر دون ترك بصمات معمارية خالدة، انضافت إليها معالم ذات طابع إسلامي ثم أوربي من جديد في القرنين التاسع عشر والعشرين، ما جعل هذا الإرث التاريخي يعرف تنوعا بين الموارد التراثية الثقافية المادية واللامادية.

2-1، تنوع التراث الثقافي المادي بالمدينة العتيقة الجديدة

2-1-1. الأسوار التاريخية

تعتبر الأسوار والأبراج والأبواب بنايات تاريخية هامة، فهي تشكل خطا دفاعيا كان يحمي قلعة "مازغان" من الأخطار الخارجية، ووظيفتها عسكرية أمنية ودفاعية بامتياز. يحيط بالقلعة البرتغالية سور ضخم يشكل حزاما من جميع جهاتها، ويتخذ شكل نجمة ذات أربعة زوايا أو غصون، حيث يتواجد عند كل زاوية برج. ويتراوح طول الأسوار بين 245.70م بالسور الجنوبي الشرقي، و274.85م بالسور الشمالي الشرقي بما في ذلك التواءات باب البحر، و267م بالسور الشمالي الغربي، و190م بالسور الجنوبي الغربي وهو سور الواجهة الرئيسية. أما حماية الممر فيبلغ سمكه ثلاثة أمتار بالأسوار الثلاثة جهة البر، بينما لا يقل سمكه عن المتر الواحد (0.70م) بالسور المحاذي للبحر. وهذا السور يفوق ارتفاعه مترا ونصف كامتداد للسور الخارجي، وتتخلله فتحات مخصصة للمدافع.⁷

2-1-2. الأبراج أو الباستيونات

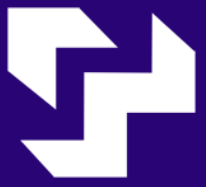
استعملت الأبراج كدعائم للأسوار وكمراكز دفاعية وسندا للأبواب، ومن بين ما خلفه البرتغاليون كدليل للمناعة التي حظيت بها القلعة نجد مجموعة من الأبراج جعلت مازغان تصمد حتى سنة 1769م. جاءت أبراج القلعة البرتغالية فريدة من نوعها، وقد اعتمدت لأول مرة في إفريقيا. وقد توزعت الأبراج على الزوايا الأربعة للقلعة فأعطتها شكل نجمة. وتتميز هذه الأبراج بضخامتها غير المعهودة، بحيث نجد أن كل برج يشكل تجمعا عسكريا قائما بذاته، وتسمى هذه الأبراج "بستيونات". وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأبراج حملت أسماء ذات حمولة دينية بسبب ظروف تلك المرحلة، فجاءت أسماؤها كالتالي:

- برج القديس أنطوان (سان بيير سابقا) في الزاوية الغربية،
- برج القديس سباستيان بالزاوية الشمالية،
- برج الملاك ويدعى سان جاك، بني في البحر إلى الشرق، وكان يحمي المدخل القديم للميناء،
- برج الروح القُدس (سان إسبري) بالزاوية الجنوبية.

هكذا يظهر أن برجين اثنين من هذه الأبراج يقعان جهة اليايسة (برج الروح القُدس و برج سان أنطوان)، بالإضافة إلى برج الحاكم بينما يقع برجان آخران بالبحر (برج الملاك و برج سان سباستيان).

- أبو القاسم الشبري، (2012)، "دكالة وإبالتها جهة دكالة عبدة: تاريخ وأثار"، مطبعة بسمة برينت، الجديدة، ص 7102

التحويلات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة



صورة رقم 1: أبراج القلعة البرتغالية



برج سان سباستيان

برج المللك

برج سان أنطوان

برج الروح القدس

2-1-3. الأبواب

بسبب الطابع العسكري للمجال، عمد البرتغاليون إلى اتخاذ ثلاثة أبواب رئيسية للدخول إلى المدينة: باب البحر مواجه للبحر، والأخران مواجهان للبر أمامهما قنطرتان ترفعان وتوضعان وقت الحاجة إلى ذلك، فصارت المدينة بهذا كله في غاية المناعة.⁸ وتأتي الأبواب على الشكل التالي:



باب البحر

باب البقر

الباب الرئيسي الحالي

2-1-4. الخندق

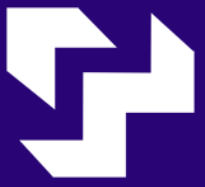
يبقى الخندق عنصرا مميزا لحصن مازاغان لكونه عبارة عن حزام مائي كان يحيط بالقلعة، ويزيد من قدرتها الدفاعية ومن مناعتها، وكان عرضه يراوح عشرين مترا، وبعمق ثلاثة إلى أربعة أمتار، فكان يحيط بالقلعة من البحر إلى البحر، وغالبا ما كان مملوءا بالمياه. ولم يبق اليوم أثر لهذا الخندق باستثناء الجهة الجنوبية الشرقية حيث الميناء وورشة السفن. فقد شرع في تسوية الخندق في عشرينات القرن العشرين على يد السلطات الفرنسية. ويبدو حسب بعض الروايات الشفوية أن بعض آثاره من جهة البر ظلت باقية إلى سبعينات القرن العشرين.⁹

2-1-5. المسقاة

تكتسي المسقاة أهمية تاريخية كبرى، ويرجع اكتشاف هذه المعلمة التاريخية إلى فترة الحماية، يرجع بناء هذه المعلمة إلى المهندسين المعماريين الأخوين فرانسيسكو وديويغ "دي أرودا" و"جواو دي كاستيلو". ويمتد الصهريج

⁸ - أحمد بن خالد الناصري السلاوي، (1954)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ص 138
⁹ - أبو القاسم الشبيري، مرجع سابق، ص 104

التحويلات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة



على فضاء مربع، تتخذ المسقاة شكلا مربعا تقريبا بطول 35.67م وعرض 36.56م، والجدران ذات سمك يقدر بحوالي 3.5م بأقواسها الرائعة التي تتقاطع وتلتقي لتشكل القبة القوطية. ترتكز المسقاة على خمسة صفوف للأعمدة بالحجارة المصففة، بما مجموعه 25 عمودا، منها 12 عمودا دائريا و13 عمودا مربعا،¹⁰ ونجد في مركز القبة فتحة دائرية قطرها 3.55م، أما بالنسبة للأرضية فهي مرصفة من القرميد الأحمر الطويل، غير أن أهم ملاحظة تطبع المسقاة هي توفر هذه الأخيرة على خصبة كبيرة مملوءة بالماء اتخذت موقعها بوسط الماجل.



حصن مازغان المسمى اليوم "المسقاة"

2-1-6. كنيسة الصعود

تعتبر كنيسة الصعود إلى جانب المسقاة أهم معالم الحي البرتغالي بالجديدة على الإطلاق. إنهما تؤرخان لفن معماري مختلف عرف "بالطراز المنوبلي" مخالف بذلك "الطراز الكوتيكي" (القوطي) الذي طغى على العمارة في أوربا خلال القرن السادس عشر. لحقت كنيسة الصعود مجموعة من التغييرات بعد الجلاء البرتغالي عنها. فقد استغل فناؤها الداخلي كمحل للسكنى، في حين استغلت واجهتها الشرقية كسجن، أما جزء الكنيسة الشمالي فقد سبق أن قسم إلى دكاكين مع نهاية القرن التاسع عشر، لكنها سرعان ما تحولت خلال العشرينيات إلى خزانة وقاعة للعرض ما بين سنتي 1995 و1996.¹¹



¹⁰- JMAHRE Mustapha ,FARACHE Rémon,(2005) La cité de Mazagan. Imprimerie Najah Al Jadida Casablanca,2émeédition, p.23

¹¹ من مازغان إلى الجديدة- مساهمة في تاريخ المغرب الحديث"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، كلية الآداب "الكراسيبي وحيد (2004)،¹¹ والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، ص 86-87.

التحويلات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

2-1-7. الكنيسة الإسبانية

يعود تاريخ بنائها إلى القرن التاسع عشر عندما تزايدت أعداد الجاليات المسيحية بمدينة الجديدة وخصوصا الجالية الإسبانية. وحسب ما ورد عند رويبر ريكار، يمكن التأريخ لبناء الكنيسة الإسبانية بشكل تقريبي ما بين سنة 1897 م و 1899 م. وقد شكلت بذلك أول كنيسة رسمية تمارس بها الطقوس الدينية المسيحية خلال فترة ما بعد الجلاء البرتغالي عن مازغان، قبل إعادة تأهيل كنيسة الصعود سنة 1919، وبعد ترميمها من طرف خواص أجنب تحولت وظيفتها منكنيسة للصلاة إلى فندق .



الكنيسة الاسبانية التي تحولت
حاليا إلى فندق

2-1-8. البيعة أو المعبد اليهودي

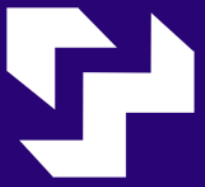
يعتقد البعض أن ما كان يسمى كنيسة سان سباستيان أو المحكمة الدينية زمن البرتغال قد تكون تحولت إلى معبد يهودي عقب استقرار الجالية اليهودية المغربية بالمدينة مع بداية القرن التاسع عشر. يقع بالجهة الشمالية للحي على بعد أمتار من المدخل الرئيسي لبرج القديس سيبيستيان. يتخذ الباب الرئيسي للمعبد شكلا مقوسا من الآخر، ويتم ولوجه عبر مدرجين.

2-1-9. المساجد

إلى جانب وظيفتها الدينية، اضطلعت المساجد بالدور التعليمي، وهو ما جعل مدينة الجديدة تحتضن نسبة هامة من المساجد التاريخية، منها على وجه الخصوص مسجد الحي البرتغالي، ومسجد بلحمودونية، ومسجد حمو بلعباس ببوشريط، ومسجد توازة بسيدي الضاوي، وإذا كان هذا الأخير قد تم هدمه مؤخرا وأعيد بناؤه لدواعي السلامة، فإن المساجد الثلاثة الأولى مازالت تحتفظ بطابعها التقليدي الأصيل.

2-1-10. المنازل التاريخية

تتوزع المنازل والمباني الموجودة بالنسيج العتيق بين ما هو برتغالي الأصل والتأثير، وما هو مغربي أو أوربي جاء بعد التحرير، وخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين. ومازالت بعض المباني-خاصة داخل أسوار القلعة البرتغالية- تذكر الناظر بالهندسة المعمارية البرتغالية والأوروبية عامة المعروفة بين القرن السادس عشر والثامن عشر



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

(الباروك والغوتي عموما)، بينما نجد المساكن ذات الحمولة الثقافية المغربية قد حافظت على النمط المغربي بشكل عام، وخاصة انفتاح المنزل مثلا على فناء داخلي بسيط أو رياض، بحسب مستوى معيشة أصحاب البيت. ولذلك فإن الزائر حينما يتجول بهذه الأحياء العتيقة قد يحسب نفسه في تجمع حضري من اختطاط برتغالي، أو أوروبي من خلال الأزقة وواجهات المباني، بينما يستشف من داخل البيوتات الطابع المغربي والأصالة المغربية، ومحورية الفناء داخل منظومة هندسة المنازل.

2-1-11. الفنادق

شكلت الفنادق منذ القدم الشكل العادي لإيواء الزوار. وتتوفر المدينة العتيقة للجديدة على تسع فنادق أغلبها في حالة يرثى لها، وأغلبها غير مصنفة تتميز بضعف وبساطة تجهيزاتها. لكن الغريب في الأمر، وبالرغم من ذلك فإن دورها يبقى مهما على مستوى استيعاب السياح بشكل كبير. ولا يجب إغفال توفر النسيج العتيق للجديدة على ما يعرف بالفندق (سكونا) الذي كان يسع حتى لربط الدواب التي كان أصحابها من التجار يحملون عليها بضائعهم إلى الجديدة، أو قد يكونون مجرد عابرين يسافرون على متن البغال أو الأحصنة أو الجمال. ومازالت بقايا "فندق بوشريط" موجودة بجانب جامع بوشريط حيث يقيم بعض المعوزين.

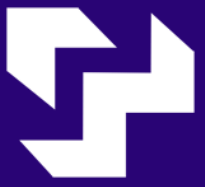
2-1-12. الصناعة التقليدية

يشكل قطاع الصناعة التقليدية بفروعها وأصنافها المختلفة، بمدينة الجديدة ككل ولمجالها العتيق بشكل خاص، إحدى المكونات الأساسية للبنية الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والحضرية، فبالإضافة إلى كونه أحد أهم مظاهر الحياة التراثية والثقافية التي تعبر عن العادات الاجتماعية المتوارثة، وتنبع من صميم مميزات الشخصية والهوية المحلية، فهو كذلك مجال اجتماعي/اقتصادي يمتص نسبة هائلة من اليد العاملة، وتمثل صناعة النسيج "الخرقة السايسية" وبيع الأقمشة والأفرشة والخياطة والنجارة والحدادة أهم الأنشطة الحرفية بالمدينة، وهي تتمتع بشهرة وطنية مهمة. وتتركز هذه الأنشطة والحرف التقليدية خاصة بقبسارية التازي (جلابة، بلغة، جابادور، قفطان...) وقبسارية جوزيف ناهون (الأفرشة التقليدية، والستائر وخياطتها).

2-2. تنوع التراث الثقافي اللامادي بالمدينة العتيقة الجديدة

لخلق حركة سياحية كان لا بد من وضع إطار للتنشيط والترفيه وذلك بخلق مجموعة من التظاهرات الفنية والترفيهية بمدينة الجديدة. فكل المؤهلات المتوفرة تشجع على جلب السياح، وهؤلاء الوافدون يحبون وجود أماكن ترفيهية، إضافة إلى المؤهلات الطبيعية والحضارية، بمعنى آخر فالنهار أو جزء منه يقضونه بالشاطئ وزيارة المآثر والتجول في المدينة والمناطق الخضراء، وليلا يبحثون عن وسائل الترفيه والاستمتاع، لذلك كان من الضروري خلق فضاءات وأنشطة لهؤلاء السياح قصد الترويج عن النفس ليلا. وهذا في حد ذاته دعاية للمنتوج السياحي المحلي.

إن مدينة الجديدة صارت منذ سنوات تحظى بشرف تنظيم "المعرض الدولي للفرس" في شهر أكتوبر من كل عام، والذي يتم افتتاحه من طرف الملك شخصيا أو من طرف أحد الأمراء. وغني عن الذكر أن كل المهرجانات والأمسيات الفنية والمعارض حاضرة بقوة في النسيج العتيق للجديدة، إذ غالبا ما تقام معارض موازية للمهرجانات وتحضنها قاعات العرض بالحي البرتغالي. كما أن هناك فضاءات أخرى بالحي البرتغالي، وخاصة الساحات وسطح



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

برج الملاك مثلا، التي تحتضن بعض الأمسيات الموازية أو تلك التي لا تحتل حضورا جماهيريا كبيرا، وهذه الفضاءات تكون أيضا في بعض الأحيان مسرحا لتصوير برامج تلفزيونية قد لا تكون بالضرورة ذات طابع تراثي. ولابد هنا من ذكر الأنشطة الثقافية التي ينظمها مركز دراسات وأبحاث التراث المغربي البرتغالي، ومديرية الثقافة، وجمعية الهي البرتغالي وغيرهم، من محاضرات وندوات ومعارض وأمسيات شعرية وفنية وغيرها، ورغم كل ذلك، فإن فضاءات النسيج العتيق مازالت في حاجة إلى تنشيط أكبر واهتمام مدروس.¹²

3. تدهور المجال المبني: المظاهر والعوامل

إن استعراض الموروث الثقافي والتاريخي الذي تزخر به المدينة القديمة للجديدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يميظ اللثام عن عمق الإشكاليات والاختلالات التي يعاني منها، فالإطار المادي للتراث الثقافي عرف تراجعاً وتدهوراً كبيراً جراء مجموعة من التحولات الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي تشهدها المدينة القديمة منذ بداية القرن العشرين، والتي كان من نتائجها البارزة تدهور البنية العتيقة وإتلاف تراثها التاريخي والحضاري، والذي تزداد حدته بفعل تداخل عوامل الطبيعة والإنسان.

3-1. تدهور الأسوار والبنىات

تمثل الأسوار إحدى العناصر الأساسية المشكلة للقلعة البرتغالية وإلى جانب الدور الدفاعي الذي تقوم به فإنها تضيف على المدينة جمالا وهيبه، غير أن الأحداث التاريخية التي مرت منها القلعة جعلت أسوارها تتعرض لعمليات متكررة من الهدم والتشويه، كما يعزى تهديل وتآكل هذه الأسوار إلى نمو الأعشاب والطفيليات بمحاذاة هذه الأسوار وغياب الصيانة المستمرة لهذا الموروث التاريخي. أما الأبراج فهي الأخرى لم تسلم من التخريب كما هو الحال بالنسبة لأصغر الأبراج الذي يحمي باب البر الذي اندثر عن آخره. أما بخصوص الخندق المائي الذي كان يحيط بالقلعة فقد تم ردمه خلال القرن 20 ولم يبق منه سوى جزء بالجهة الشرقية من جهة الميناء وهناك بقايا من الحجر عند قدم برج الملائكة ربما تكون جزءاً من هذا الخندق.

3-2. تكاثر الخرب

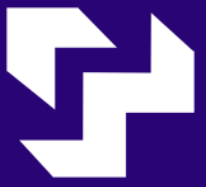
هي المباني المنهارة كلياً أو جزئياً، أو هي الدور المتدهورة الفارغة من السكان، فهي لم تعد تقوم بالوظيفة الموكلة إليها سابقاً، وأصبحت حالياً عبارة عن أماكن لرمي الأبال والنفايات المنزلية، ونشر الغسيل، ومرتعا للعديد من أنواع الزواحف والحشرات وملجأ لأطفال الشوارع والمتشردين وغيرهم.

3-3. ارتفاع نسبة الكراء وضعف الصيانة

توفر المدينة العتيقة سوقاً كرائية مهمة في ظل غياب إنتاج عقار موجه للكراء بأثمنة في متناول الفئات الاجتماعية الفقيرة، وهذا ما ينتج عنه تقسيم المنازل التقليدية إلى غرف وكرائها مستقلة للأسر¹³ حيث نجد نسبة الكراء مرتفعة وتصل حالياً إلى 52%، تليها فئة المالكين بـ39%، أما النسبة المتبقية فهي في حوزة الأعباس.

12 - مركز التراث المغربي - البرتغالي بالجديدة، سنة 2015.

13 - بوشتي الخزان ومحمد حميق (2007)، "المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ"، مجلة دفاتر جغرافية-العدد الثالث - الرابع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز - فاس، ص 29-30.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

4-3. اللجوء إلى البناء بمواد عصرية، وتعدد عمليات الإصلاح العفوية وغير الخاضعة للمراقبة

تعاني المباني السكنية بالمدينة العتيقة للجديدة من تدهور كبير نتيجة لمجموعة من الأسباب الرئيسية يمكن حصرها في : ارتفاع الضغط على السكن، تقسيم المنازل وإضافة غرف في غير موضعها، ارتفاع كلفة الإصلاح والترميم أمام ضعف الدخل لدى الأسر، بالإضافة إلى تغير نمط العيش والتأثر بالمباني العصرية، كما أن الاستعمال المفرط لمواد البناء العصرية وإدخال أشكال معمارية لا تستجيب للضوابط التقنية المعمول بها داخل الأنسجة العتيقة، أثر على الشكل الهندسي الداخلي والخارجي للمنازل والدور من جهة، وسرع من وتيرة انهيارها وتدهورها. لكن أخطر تهديد تعاني منه المدينة العتيقة يكمن في هدم بعض المساكن القديمة واستبدالها بأخرى جديدة لا تمت بأية صلة إلى النسيج العتيق بقدر ما تعمل على تشويه هذا المجال، ولعل الصورتين التاليتين تعكسان حجم الخطورة التي تهدد النسيج المعماري التقليدي.

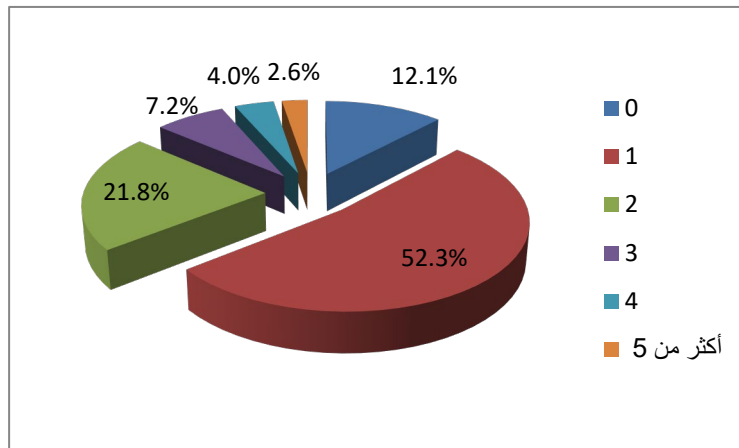


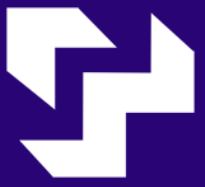
تعويض البناء الجديدة للمنازل التاريخية

5-3. وضعية السكان السوسيو مهنية

إن دراسة الوضعية الاقتصادية لأرباب الأسر القاطنة بالنسيج العتيق يروم إعطاء نظرة شاملة عن المستوى الاقتصادي للأسر من خلال دراسة المهن والقطاعات الاقتصادية التي يشتغلون بها، على اعتبار أن الوضعية الاقتصادية للسكان لها دور في التحولات المجالية، لأن الفقر وتدني المستوى الاجتماعي للسكان لهما انعكاس مباشر على واقع المجال المدروس.

مبيان رقم 1: عدد المشتغلين في كل أسرة داخل النسيج العتيق للجديدة





التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

المصدر: بحث ميداني، 2015

تسجل الأنسجة العتيقة أعلى معدلات البطالة في الوسط الحضري المغربي بالرغم من ارتفاع معدل النشاط ليقف فوق المتوسط الوطني، ويمثل المستخدمون والصناع حوالي 40% من النشيطين المشتغلين، ما يعكس هزالة مداخلمهم¹⁴.

على صعيد مدينة الجديدة، تفيد معطيات الإحصاء لسنة 2004 أن الساكنة النشيطة بالنسيج العتيق تبلغ حوالي 11000 نسمة، والساكنة غير النشيطة 18941 بينما تصل نسبة المشتغلين إلى 36.7% من مجموع سكان المدينة العتيقة، وهي على العموم نسبة لا بأس بها، في حين نجد أن متوسط النشيطين المشتغلين بالمدينة العتيقة للجديدة هو فرد واحد في كل أسرة بالنسبة ل 52.3% من مجموع الأسر، وتصل نسبة الأسر التي يوجد بها أكثر من مشتغل واحد إلى 35.6%، منها 11.3% تتوفر على أكثر من مشتغلين اثنين. أما الأسر التي لا يوجد بها أي مشتغل فنسبتها تصل إلى 12.1% الشيء الذي يفصح بشكل جلي على مؤشر الإعالة، الذي يصل إلى حوالي 3.3 أفراد لكل مشتغل، أي تقريبا لكل أسرة دخل واحد من شخص واحد لأن متوسط النشيطين المشتغلين في كل أسرة هو 1.5، وهذا يعني أن دخل الأسر في المتوسط ضعيف، ما لا يسمح بتحمل نفقات صيانة وإصلاح المسكن، فينعكس ذلك سلبا على حالة السكن الأصيل.

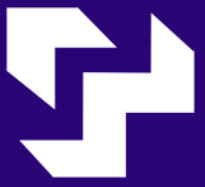
4. استراتيجية إنقاذ ورد الاعتبار للنسيج العتيق للجديدة

إن الواقع الذي تعيشه المدينة العتيقة للجديدة، والذي يعكسه التلاشي والتدهور الذي يعرفه إطارها المبني، وتراجع العديد من وظائفها الحيوية، وفقدان التوازن بين مكوناتها الأساسية، جعل مسألة التفكير في التدخل لإنقاذ ورد الاعتبار لما تبقى من تراثها التاريخي مسألة ذات أهمية بالغة وضرورة ملحة، تفرض تكاثف جهود كل الفاعلين والمعنيين بالأمر من أجل اتخاذ الإجراءات والتدابير الكفيلة بإنقاذ هذا الإرث، والبحث عن المقاربات الناجعة لرد الاعتبار له وتثمينه، لأن ما تشهده الوضعية المعمارية للإطار المبني بالمدينة العتيقة من تدهور وإهمال ناتج بالأساس عن غياب استراتيجية و خارطة طريق واضحة المعالم لتثمين ورد الاعتبار للمدينة من قبل الجهات المعنية، يستدعي الاعتماد على مقاربة مندمجة وتشاركية تروم إيقاف مسلسل التدهور الذي يعرفه المجال الأصيل بمدينة الجديدة، وكذا إنجاز مشاريع تنموية من شأنها أن تبلور سياسة رد الاعتبار على أرض الواقع، وبالتالي تحقيق التنمية المستدامة عن طريق التخطيط الحضري المعقلن.

4-1. أشكال التدخل لإنقاذ المدينة العتيقة للجديدة

اندرج مشروع إعادة تأهيل ورد الاعتبار للحي البرتغالي بالجديدة في إطار برنامج وطني شامل قاده وزارة الداخلية بدعم من البنك الدولي بغرض وضع استراتيجية وطنية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للمدن المغربية ومحيطها العام، وهو المشروع الذي كانت قد تكفلت به مؤسسة العمران. وحسب البرنامج، فقد كان المشروع يرمي إلى ترميم وتأهيل عدد من المجالات والبنائيات داخل الحي البرتغالي، ومنها ساحة الكنيسة (بين كنيسة الصعود والجامع

¹⁴ - شتو فضيلة (2014)، سياسة تدبير السكن المهدهد بالانهيوار بالنسيج العتيق لمدينة فاس، مجلة التراث الحضري والحدائق، العدد 13، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز - فاس، ص 143-144.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

الكبير)، ساحة باب البحر (أمام باب البحر)، فضاء المسقاة البرتغالية، الزقاق الرئيسي (زنقة الهاشي باحباح)، ممر المراقبة فوق الأبراج، وتجميل الفضاء الخارجي المحيط بالحي البرتغالي.

ولأن المشروع تمحور حول توفير إقلاع اقتصادي وسياحي وثقافي للحي والمدينة، فقد حكمته غاية أساسية محورها الإنسان، ومن ثم فقد تمت برمجة المشاريع وفق مقاربة تشاركية تدمج العنصر البشري كفاعل أساسي بما يلبي حاجياته ورغباته. ولذلك فقد أخذ المشروع بعين الاعتبار تثبيت وتهيئة الحركة الاقتصادية القائمة وخلق فرص جديدة لتنمية الموارد الاقتصادية والاجتماعية، مع التركيز على دعم جانب السياحة الثقافية.¹⁵

إن من بين المشاريع التي تم إنجازها بالمدينة العتيقة للجديدة، تلك التي اهتمت بالأساس بتحسين المنظر العام والمحافظة على جمالية المدينة العتيقة كتقشير وترميم الواجهات والتجيير والصبغة، بالإضافة إلى إصلاح شبكة التطهير والماء الصالح للشرب والكهرباء، وإعادة الربط تحت أرضي بشبكتي الإنارة العمومية والهاتف، إلى جانب تغطية الطرق والساحات والأرصفة (بحجر التبليط والحصى والغرانيت)، فضلا عن إصلاح وترميم أهم المعالم والمآثر التاريخية بالمدينة.

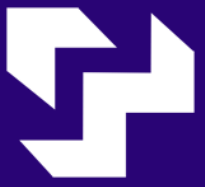
- رد الاعتبار للإطار المبني: تحتل البنايات السكنية الجزء الأكبر من النسيج العتيق وتشكل أحد أهم مكوناته، فإذا أخذنا الحي البرتغالي كمثال نجد أن المجال الأكثر تضررا هو ذلك الواقع بين زنقة الهاشي باحباح والزاوية التيجانية، أي الفضاء الواقع بين مدخل الحي وباب البقر بالسور الشمالي الغربي، خلف الجامع الكبير. والحقيقة أن البنايات الهشة تتوزع هنا وهناك داخل كل مجال الحي البرتغالي الذي يطغى فيه السكن الاقتصادي والسكن الهش نتيجة لهشاشة ظروف قاطنيه. غير أنه منذ أزيد من عشر سنوات أضحت كثير من البنايات في ملكية مستثمرين، أجنبيا بالخصوص، فتحوّلت إلى دور للضيافة بعد ترميمها وتنميقها. ولذلك فقد شهد الحي البرتغالي عمليات إنقاذ عمومية وخصوصية، وذلك إما بترميم البناء القائم أو الهدم ثم إعادة البناء.¹⁶

- الهدم: في إطار مشروع المحافظة ورد الاعتبار للمدينة العتيقة، وبعد الدراسات التقنية، تم هدم البنايات المتهاكلة التي تشكل خطرا على البنايات المجاورة والمارة. وقد تم إنجاز هذه العمليات بشكل أكثر بين أواسط تسعينات القرن العشرين ومطلع الألفية. وقد همت بعض البنايات المشوهة ببعض الأزقة وكذا تنظيف سطح المسقاة من أطلال مساكن قديمة عشوائية. وتم تنفيذ تلك الأعمال بتشارك بين العمالة ووزارة الثقافة (خاصة مركز التراث المغربي - البرتغالي) وفرقاء آخرين.

- الترميم والتدعيم: سواء تعلق الأمر بالأشغال التي باشرتها جهات عمومية أو الساكنة، فقد روعي عموما خلال عملية ترميم وتدعيم البنايات نوعية المكونات الأصلية للحفاظ على العناصر ذات الجودة العمرانية والفنية، وذلك من خلال:

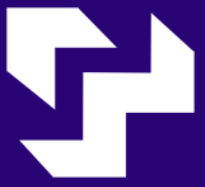
¹⁵- AMENGUAL Michel,(2012), El Jadida Capitale des Doukkala, Archive de Préfecture Del Jadida, p.27

¹⁶-Préfecture d'El-Jadida, (1996), Réhabilitations de la cité portugaise.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

- تخليص واجهات البنايات من جميع العناصر المخلة بالطابع التقليدي للمدينة كالشرفات الزائدة والتبليط الإسمنتي وأنايب الصرف الصحي والأسلاك الكهربائية والهاتف ولوحات الإشهار.
- ترميم الجدران باستعمال الحجارة والأجر التقليدي
- الحرص ما أمكن على الحفاظ على الطابع المميز للنوافذ والأبواب
- عدم تغطية أو تقسيم بهو الدار، كلما أمكن ذلك في الحقيقة
- الحفاظ على علو البنايات وعدم إضافة أي تقسيم أفقي
- الإبقاء على مواقع وقياسات النوافذ
- الحفاظ على عناصر الزخرفة والتنظيم المجالي
- الجانب التاريخي: إن الأهمية التاريخية والحضارية التي تكتسبها المعالم الأثرية دعت على مدى العشرين سنة الأخيرة خاصة إلى تهيئة وترميم هذه المعالم وكذا إبراز قيمة هذه المنشآت والمرافق التاريخية والكشف عن المؤهلات السياحية لمدينة الجديدة لدعم قوة الجذب السياحي المفعم بالروح الحضارية والتمدنية والتاريخية والتراثية وروح الرواج الاقتصادي والثقافي والرمزي والتراثي للمدينة. ضمن هذا الإطار تتكامل عدة تدابير لضمان تأهيل واثمين المركز التاريخي لمدينة الجديدة، ومن بين هذه الإجراءات نجد:
- ترميم أسوار الحي البرتغالي، وخاصة سور الواجهة (الجنوبي-الغربي) والسور الشمالي-الغربي؛
- ترميم كنيسة الصعود وسقفها وتبليط أسوارها الخارجية والداخلية ومئذنتها؛
- ترميم برج الملاك وبرج سان سباستيان وبرج سان أنطوان وبرج الروح القدس، سواء كلياً أو جزئياً على الأقل؛
- فتح وتنظيف أسفل برج سان أنطوان وبرج الروح القدس وسان سباستيان؛
- ترميم كل الطابق السفلي لكنيسة سان سباستيان؛
- ترميم القاعات الثلاث الملتصقة بالمسقاة البرتغالية وكذا مدخل هذه الأخيرة، وتهيئة قاعتين من هذه القاعات كأروقة للفنون التشكيلية، (رواق الشعبية ورواق الخطيبي)؛
- تدعيم سطح المسقاة البرتغالية ضد التسربات المائية، وذلك بعد تنظيف السطح من بقايا أطلال المنازل القديمة العشوائية؛
- ترميم البناية والبرج اللذان يشغلان كل الجهة الشمالية لسطح المسقاة؛
- ترميم الأسوار الأربعة الخارجية للمسقاة؛
- ترميم جزء من سور الممر الذي يعلو أسوار القلعة؛
- اجتثاث النباتات من هذا الممر وتنظيفه وتهيئته و"ترصيفه" بالحجر المنحوت المناسب؛
- تبليط واجهات الطابق الأول والثاني لكنيسة سان سباستيان؛
- تهيئة الساحة الواقعة بين الكنيسة البرتغالية والمسجد كفضاء ثقافي؛



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

■ ترصيف ساحة باب البحر¹⁷؛

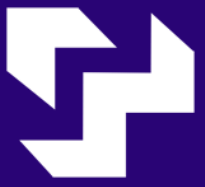
2-4. مقارنة تئمين وتأهيل المدينة العتيقة للجديدة

في خضم الجهود الحثيثة للسياسة الوطنية في مجال دعم الموروث الثقافي، تم التشديد على أهمية المحافظة على هذا الموروث وتنميته وتطويره باعتباره مكونا أساسيا ضمن الهوية الثقافية للمغرب، مشيرا إلى أن وزارة الثقافة أعدت وفق مقارنة تشاركية المخطط الاستراتيجي (التراث 2020) الذي يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف بمشاركة مع العديد من المعاهد والفاعلين المهتمين بقضايا التراث الثقافي، فاستراتيجية "التراث 2020م" هي خطة تهدف بعد الأجرأة، ومن خلال المحافظة، إلى تئمين الموروث الثقافي المغربي بشتى تجلياته وشعبه من خلال حماية وتئمين التراث الثقافي الوطني، عبر إنجاز نصوص تشريعية هامة، تروم إلى جانب الحماية والتئمين، ضبط مجال التراث وإبراز مختلف مكوناته وجعله ذاتا حية تسهم في التنمية المستدامة.

- ومن حيث الدور الذي يلعبه الموروث الثقافي المرتبط بتسيخ الهوية الوطنية، ترمي هذه الاستراتيجية إلى تسخير هذا الموروث في تنشيط حركة السياحة الثقافية وفي التنمية الاقتصادية والاجتماعية،¹⁸
- في سياق الاهتمامات الوطنية التي تتوخى إدماج الموروث الثقافي في التنمية باعتباره موردا تراثيا هاما، فقد ارتأت السياسة الوطنية تحسين اقتصادها عبر تأهيل تراثها الثقافي وتوظيفه من أجل تنوع مداخيلها وخدمة سياحتها الوطنية. وضمن هذا السياق تم إشراك مختلف المتدخلين الفاعلين المحليين في إنقاذ المدينة القديمة للجديدة وتنفيذ مشاريع رد الاعتبار لها،
- إن العناية بالتراث المعماري لمدينة الجديدة، الذي غالبا ما يتم اختزاله في التراث البرتغالي، قد عرفت مرحلتين لما بعد الاستقلال: حيث كانت عمالة إقليم الجديدة قد باشرت هذه العناية في ثمانينيات القرن العشرين، وستأتي دفعة جديدة قوية لرد الاعتبار لهذا التراث بعد إحداث مركز دراسات وأبحاث التراث المغربي البرتغالي من طرف وزارة الثقافة في صيف 1994، ومواكبة ذلك لزيارة ملكية للمرحوم الحسن الثاني، فكان ذلك فاتحة عهد جديد في العناية بالتراث الثقافي عامة. وإذا كانت أشغال المرحلة الأولى، على حسن نية أصحابها، قد بقيت سجيئة نظرة جمالية محضة للمباني التاريخية والبحث عن التناسق فيما دونها معرفة دقيقة بأبجديات ترميم وإصلاح المعالم العمرانية والأثرية، فإن المرحلة الثانية دشنت لعهد جديد بفعل التكوين الأكاديمي والخبرة العلمية لأطر مركز التراث المغربي البرتغالي،
- لقد شكل إحداث مركز التراث المغربي البرتغالي طفرة حقيقية في ميدان ترميم وتأهيل المباني التاريخية، لأن ما سيقوم به لاحقا كان له امتداده وانعكاسه على المستوى الوطني. وبحسب ما استقيناه من متبعين ومسؤولين، فإنه بفضل هذا المركز صارت دفاتر التحملات التي تعدها السلطات المحلية أو المجالس المنتخبة تتضمن بالنص الصريح اعتماد المواد التقليدية في الترميم من جهة، واستبعاد اللون الأحمر في

¹⁷ - المندوبية الجهوية للثقافة بمدينة الجديدة سنة 2015

¹⁸ - شيماء مرام (2013)، "مهرجان كناوة وموسيقى العالم بالصويرة: مدخل التأصيل والتئمين السياحي في التنمية الترابية" ورد ضمن، تنسيق (الزروني محمد، البقصي محمد): المواسم والمهرجانات فضاءات لتئمين الموروث الثقافي، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، أشغال الدورة الرابعة والعشرين، الشركة العامة للتجهيز والطبع، فاس، ص 237



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

المباني من جهة ثانية، ويعترف المسؤولون بحسنة للسلطات المحلية وهي جعل مركز التراث المغربي البرتغالي شريكا أساسيا في كل أشغال الترميم التي ستعرفها الجديدة انطلاقا من سنة 1994 إلى اليوم.¹⁹ ولذلك يبدو أن كل أعمال الترميم والإصلاح الواردة أعلاه كانت كلها ناجحة، على الأقل بنسبة 90 في المائة برأي الخبراء والمسؤولين المحليين من هنا وهناك.²⁰ وهو نفس الأمر الذي ينطبق أيضا على غالبية الترميمات التي شهدتها أزموور، رغم ما أثاره بعضها من مشاكل بين الفرقاء. وقد كان على ما يبدو لاعتماد خليط تقليدي من الجير والتراب أثر حاسم في تغيير وجه التراث ومثانة عناصره.

- ففي إطار هذا التوجه التشاركي واعتماد خبرات أطر وزارة الثقافة بتكوينها الرصين وتجربتها، أجريت ترميمات الهي البرتغالي كلها والتي همت، من 1994 إلى 2012، سور الواجهة الرئيسية والسور الشمالي-الغربي والأبراج الأربعة بسطوحها ودواخلها وممرات برج المراقبة بأرضيتها وجنبتها وكذا مجمع المسقاة البرتغالية أي ترميم أبراجها وسطحها والقاعات المحيطة بها، وأيضا كنيسة الصعود من الداخل والخارج، وإعادة ترميم سقفها كاملا. كما شملت الترميمات أيضا في فترات مختلفة إصلاح شبكة الصرف الصحي تقريبا بشكل كامل داخل الهي البرتغالي وكذا ترميم الجامع من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- إن هذه الفلسفة في إدارة الأمور بعقلية تشاركية، واعتماد الخبرات المحترفة في الترميم ومشاريع الإصلاح، كلها عوامل كانت حاسمة في قرار منظمة اليونسكو بتصنيف القلعة البرتغالية للجديدة تراثا عالميا، وإن كان الطلب الموضوع في المرة الأولى سجلت بشأنه مصالح اليونسكو المختصة ملاحظات تصب في ضرورة توسيع مجال التصنيف ليشمل ساحة الحنصالي، وبصفة خاصة بالتأكيد على ضرورة مشاركة كل الفاعلين والفرقاء والمعنيين من قريب أو من بعيد في الملف. ولذلك لاحظ المتبعون لاحقا الإشراف الفعلي لعمالة الإقليم على الملف، عكس ما كان قد حصل في المرة الأولى حيث كان هناك تلوؤ ما.
- ومع كل هذه الإنجازات لم يتم مثلا إشراك مركز التراث المغربي البرتغالي في البرنامج الأخير الذي كانت مؤسسة العمران قد برمجته وباشرت أشغاله، وهي الأشغال التي توقفت في بداياتها وتركت وراءها مخلفات كارثية على المباني كما على الساكنة والوجه العام للهي البرتغالي، مما زاد من معاناة ساكنة تقيم 60 في المائة منها أو أكثر في مساكن متداعية وتنخرها الرطوبة.²¹ كما لا يتم إشراك المركز في مشاريع الإصلاح العمومية أو الخصوصية التي تجري أطوارها بباقي مكونات النسيج العتيق (بوشريط، الحنصالي، درب الحجارة...) الذي يضم تراثا حضاريا هاما، كما أوضحناه سالفًا.

ولأن الهي البرتغالي مرتبط بمحيطه العام المباشر، ولأن هذا المحيط بدوره يعد جزءا من النسيج العتيق للجديدة الذي يشكل موضوع المقال، فلا بد من تسجيل مشروعين يهتمان مجال الدراسة: يتعلق الأمر بإعادة هيكلة ميناء الجديدة بترميم بنياته أو هدم أغلبها وإعادة بنائها من جديد بشكل يجعل هذه البناءات تشكل امتدادا طبيعيا

¹⁹-Carabelli Romeo (2012), L'héritage portugais au Maroc : un patrimoine d'actualité. Traduit de l'italien par Marie-Anne Marin, Laboratoire CITERES, Tours, France, pp. 23-24

²⁰- أبو القاسم الشيري، مرجع سابق، ص 112

²¹ - Journal le Matin, la réhabilitation de la cite portugaise, numéro, 1042, 19 avril 2014.



التحويلات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

لبناية الجمارك التاريخية ولمسرح عفيفي والفضاء التراثي لكل هذا المحيط. وقد شملت تهيئة الميناء ترحيل مطاعم السمك الشعبية التي كانت تقع على شارع نابل مجاورة لورشة بناء السفن وبرج الروح القدس للحي البرتغالي. وهو ما سمح بإحداث ساحة جديدة واسعة وفسحة مكنت من كشف سور الحي البرتغالي للعيان بعد أن كانت رؤيته محجوبة بسور إسمنتي وشباك حديدي ومطاعم السمك التي كانت توجد في حالة رثة وبئيسة. وقد حملت الساحة إسم البريجة تذكيرا بأشهر أسماء المدينة تاريخيا.²² وعلى العموم فإن المشاريع التي تم إنجازها من طرف السلطات المحلية بعضها عرف النور والبعض الآخر عرف تعثرا لأنه رغم أهمية الدور الذي يقوم به الفاعلون المحليون لحماية ورد الاعتبار للمدينة القديمة بالجديدة فإنها تمت في غياب مشاركة المجتمع المدني والقطاع الخاص.

²² - La Préfecture d'El-Jadida, (1996), Réhabilitations de la cité portugaise.

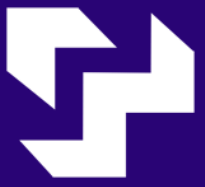


التحويلات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

خاتمة:

بعد دراسة واقع المدينة العتيقة للجديدة، فإنه من الواضح أن هناك جهودا تبذل لمحاولة المحافظة على هذه الأحياء وتأهيلها، وفي نفس الوقت هناك تعثر واضح في أعمال التنفيذ ومعالجة المشاكل الحقيقية حسب أولويات متفق بشأنها. فأغلبها عبارة عن تدخلات نقطية ومتفرقة لا تندرج ضمن استراتيجية واضحة وشاملة. كما أن الاهتمام الأكبر كان لإعداد الدراسات التي استغرقت وقتا طويلا، أما الانجازات الفعلية المنفذة فإن نسبتها تكاد لا تذكر بالمقارنة مع حجم المدينة العتيقة ومشاكلها وعدد سكانها، حيث تحدث التدخلات على نطاقات ضيقة، كترميم بعض المباني العامة، وترصيف الممرات الرئيسية، وتأهيل جزئي لشبكات الإنارة والصرف الصحي، دون تدخلات بارزة على مستوى الإطار المبني الآيل للسقوط وما بات يحمله من أخطار على ساكنة ورواد النسيج العتيق للجديدة.

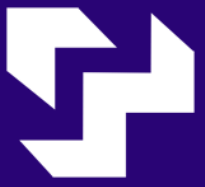
وعليه، فأى استراتيجية هادفة للحفاظ على التراث العمراني والمعماري للجديدة يجب أن تعتمد على نظرة شمولية تشاركية تعتمد البعد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والبيئي، ضمانا لارتقاء الإنسان وتطوره وضمنا لحماية مجاله وممتلكاته على المدى البعيد.



التحولات المجالية بالمدن المغربية العتيقة واستراتيجيات التدبير: حالة مدينة الجديدة

ببليوغرافيا

- أبو القاسم الشبري، (2012)، "دكالة وإيالها جهة دكالة عبدة: تاريخ وآثار"، مطبعة بسمة برينت، الجديدة.
- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، (1954)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء.
- بوشتي الخزان ومحمد حمجيق (2007)، "المدينة القديمة بفاس تراث إنساني بين التهميش والإنقاذ"، مجلة دفاتر جغرافية-العدد الثالث - الرابع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز - فاس.
- الزعبي محمد موسى، (2010)، دور القيادات الاستراتيجية في تطوير المنظمات الأمنية والمدنية في الجمهورية العربية السورية أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية نايف العربية للعلوم الأمنية، سوريا.
- شتو فضيلة (2014)، سياسة تدبير السكن المهمد بالانهيار بالنسيج العتيق لمدينة فاس، مجلة التراث الحضري والحداثة، العدد 13، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز- فاس، ص 143-144.
- شيماء رمرام (2013)، "مهرجان كناوة وموسيقى العالم بالصويرة: مدخل التأصيل والتثمين السياحي في التنمية الترابية" ورد ضمن، تنسيق (الزرهوني محمد ، البقصي محمد): المواسم والمهرجانات فضاءات لتثمين الموروث الثقافي، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، أشغال الدورة الرابعة والعشرين، الشركة العامة للتجهيز والطبع، فاس.
- كرم يوسف، (1970)، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت.
- لكرارسي وحيد (2004)، "من مازغان إلى الجديدة- مساهمة في تاريخ المغرب الحديث"، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.
- مركز التراث المغربي - البرتغالي بالجديدة، سنة 2015.
- المندوبية الجهوية للثقافة بمدينة الجديدة سنة 2015
- هلال عبد المجيد، (2010)، "دينامية البيئة والمجتمع بساحل الجديدة الإمكانيات والإكراهات"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء.



- AMENGUAL Michel,(2012), El Jadida Capitale des Doukkala, Archive de Préfecture Del Jadida.
- Carabelli Romeo (2012), L'héritage portugais au Maroc : un patrimoine d'actualité. Traduit de l'italien par Marie-Anne Marin, Laboratoire CITERES, Tours, France.
- Dictionnaire de la géographie, PUF, 1970.
- JMAHRE Mustapha, FARACHE Rémon,(2005) La cité de Mazagan. Imprimerie Najah Al Jadida Casablanca,2émeédition.
- Journal le Matin, la réhabilitation de la cite portugaise,numéro, 1042, 19 avril 2014.
- La Préfecture d'El-Jadida, (1996), Réhabilitations de la cité portugaise.